

خطبة الجمعة - الخطبة ٠٩٧٤ : خ ١ - أمراض نفسية في الأمة الإسلامية ، خ ٢ - تكذيب قصة الفتاة المسوخة.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠٠٥-٠٨-١٢

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الأولى:

الحمد لله نعمده، ونستعين به، ونسترضده، ونعوذ به من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا نجاد له ولياً مرشداً، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إقراراً بربوبيته، وإرغاماً لمن جحد به وكفر، وأشهد أن سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم رسول الله، سيد الخلق والبشر، ما اتصلت عين بنظر، أو سمعت أذن بخبر، اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد، وعلى آله وأصحابه، وعلى ذريته ومن والاه ومن تبعه إلى يوم الدين.

اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين. اللهم أخرجنا من ظلمات الجهل والوهم إلى أنوار المعرفة والعلم، ومن وحول الشهوات إلى جنات القربات.

أمراض نفسية في الأمة الإسلامية:

أيها الإخوة الكرام، موضوعات ثلاثة تنضوي تحت آية واحدة، هي قوله تعالى:

﴿ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

(سورة البقرة: الآية ٢١٦)

المرض الأول: القلق

أيها الإخوة الكرام، بعض القلق ضروري لحياتنا النفسية، فالقلق ضروري للحاضر وللمستقبل، ولكن في حدود، بحيث لا ينتهي القلق إلى اليأس والتعاسة، فبعض أنواع القلق كالمح في الطعام، إذا زاد عن حده انقلب إلى ضده.

أيها الإخوة الكرام، بعض الناس يهربون من القلق عن طريق عدم مواجهة الحقيقة، والنتيجة أنهم يهربون من الحقيقة، ويصبحون أكثر تعرضاً للقلق، واجه الحقيقة، لا تخف منها، الحقيقة المرة أفضل ألف مرة من الوهم المريح.

أول خطوة في حل المشكلة أن تعلم أنها مشكلة، أول خطوة في علاج الضغط المرتفع أن تعلم أنك تعاني من ضغط مرتفع، لا تجبن عن مواجهة الحقيقة، ولو أدت إلى بعض القلق، فإن الهروب من الحقيقة يوقعك في قلق شديد جداً، قد ينتهي إلى اليأس.

أيها الإخوة الكرام، ينبغي أن نحاول التخلص من القلق، ولكن بطريقة عملية:

(١) لا تكلف نفسك فوق قدرتها:

أولاً: لا تطلب من نفسك أشياء فوق قدرتها، اعرف حجمك، اعرف إمكاناتك، اعرف قدراتك، لا تطالب نفسك فوق ما تستطيع، عندئذ تقع في الإحباط، وفي القلق، لا على مستواك الشخصي فقط، ولكن على مستوى الأمة، هذا واقع يجب أن نقبله كي نعالجه، أما إذا رفضناه فرض علينا واقع أشد وأدهى، الكثيرون يحملون هموماً أكبر من إمكاناتهم وطاقاتهم، بل ربما كانت أكبر من إمكانات الأمة كلها في مثل هذه المرحلة، وهذا يسبب لهم قلقاً دائماً.

مرة ثانية، الاعتدال في القلق كالملح في الطعام، ضروري جداً، ولكن إذا زاد عن حده انقلب إلى ضده. يروى أن أعرابياً عنده أمة، فقيل له: هل تتمنى أن تذهب هذه الأمة، وتصبح أنت الخليفة؟ قال: لا والله، قيل: ولم؟ قال: أخشى أن تذهب الأمة، ولا أصبح خليفة.

هذا الواقع، اقبل واقعك، قبول الواقع نوع من الرضى عن الله عز وجل، حاول أن تحدد المشكلة، حاول ألا يسلمك قلقك إلى اليأس، ولا إلى التعاسة، ولكن واجه الحقيقة، ولا تقفز عنها، هناك من يهرب منها بالقفز عنها وبتجاهلها.

انظر إلى واقعك بعين الرضا، ولا تكن قاسياً على نفسك.

ورد في بعض الآثار: "نفسك مطيتك فارق بها".

لا تحمل نفسك ما لا تطيق، لا تنظر إلى نموذج يصعب الوصول إليه، ثم تشعر بالإحباط المستمر، "نفسك مطيتك فارق بها"، انظر إلى واقعك بعين الرضا، لا تكن قاسياً على نفسك، إن لنفسك عليك حقاً، ولكن، لا يعني هذا أن تستسلم للمقلقات.

(٢) اطمح إلى شيء وتمتع بالأمل:

ينبغي أن يكون لك طموح، كما قال عمر بن عبد العزيز: "تأقت نفسي إلى الإمارة، فلما بلغتها تأقت نفسي إلى الخلافة، فلما بلغتها تأقت نفسي إلى الجنة".

لا بد لك من آمال، هذا الذي يقتل الآمال يقتل الإنسان، الإنسان يعيش بأمل، لا تعلق على المستقبل، إنه بيد الله، والله عز وجل لا يضيع المؤمنين، اسمع الأخبار، وقرأ التحليلات، وابحث، وادرس، ولا تنسَ لثانية واحدة أن الله موجود، وأن الله بيده الأمر، إليه يرجع الأمر كله، وإنه لن يضيع المؤمنين، لكنه يمتحنهم، لن يضيع المؤمنين، لكنه يعالجهم، لن يضيع المؤمنين، لكنه يدفعهم إلى الطريق الصحيح.

أيها الإخوة الكرام، كل إنسان ينبغي أن يكون له أمل، الأمل يحرك، الأمل يدفع، الأمل يمتص المصيبة. أنكر مرة أنني تحدثت عن سعادة المؤمن، فاعترض معترض، وقال: هذا كلام غير صحيح، المؤمن يعاني ما يعانيه الناس جميعاً، إن كان هناك ارتفاع أسعار، إن كان هناك أزمة سكن، هو يعاني، فخطر في بالي مثل:

لو أن إنساناً فقيراً معدوماً دون الخط الأحمر، وعنده أولاد ثمانية، ودخله محدود جداً، وله قريب يملك مئات الملايين، هو عمه، وعمه ليس له ولد، ومات بحدوث سير، هذه المئات من الملايين كلها لابن أخيه، انتقلت إليه، ولكن إجراءات الإرث وبراءات الذمة تستغرق سنة، لماذا هذا الشاب الفقير المعدوم في هذه السنة هو من أسعد الناس؟ لم يقبض درهماً واحداً، ولكنه دخل في الأمل، قال تعالى:

﴿ أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴾

(سورة القصص: الآية ٦١)

مادم الله قد وعد المؤمنين بالجنة، وهذه الدنيا تمضي، فهم سعداء، وقد حدثتكم في خطبة سابقة أن الإيمان قوة مطلقة، وكيف أن أصحاب الأخدود حرقوا، وكيف أن ماشطة بنت فرعون ألقيت في الزيت المغلي، ولم تنتصر، عدّ العلماء ثباتها على مبدئها وصحة عقيدتها نصراً مبدئياً.

﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ ﴾

(سورة البقرة: الآية ١٤٣)

٣) اذكر نجاحك واشكر الله:

أيها الإخوة الكرام، استمتع بالنجاح، ما من إنسان إلا وعنده قدر من النجاح، إن في حرفته، إن في زواجه، إن في صحته، إن في عمله، هذا النجاح ينبغي أن تذكره، وقد قال الله عز وجل:

﴿ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ ﴾

(سورة إبراهيم: الآية ٥)

يوم نصرك، يوم وفقك، يوم نلت هذه الشهادة، يوم عُينت في هذا المنصب، يوم اشتريت هذا البيت، يوم تزوجت هذه المرأة....

هذه النجاحات التي قدرها الله لك لا تغب عن ذهنك، اشكر الله عليها، ذكرهم بأيام الله، النجاح يسعد، النجاح مسعد ويسعد، فإذا كنت على نجاح فلا تنس هذا النجاح، فهو من نعم الله الكبرى.

٤) لا تحقد على الناس ولا تحسدهم:

أيها الإخوة الكرام، لا تحقد على أحد من الناس، الحقد على الناس دليل ضعف التوحيد، وما تعلمت العبيد أفضل من التوحيد.

لا تحزن الفتاة إن رأت أختها قد تزوجت، فلها عند الله رزق، لا ينساها الله عز وجل من فضله.

لا تحزن الزوجة حينما ترى زوجة أخرى تعيش مع رجل غني، فقد يعطي الله المال، ويسلب الصحة، وقد يعطي المال، ويسلب السعادة.
لا تبك المطلقة إذا قابلت زوجة سعيدة.
أيها الإخوة الكرام، لا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض، مادام الله عز وجل قد خصك بشيء، فاشكر الله عليه.

٥) اشعر بالنعيم وانس الآلام:

أنا أتحدث اليوم عن الحالة النفسية للإنسان، الإحباط واليأس، وأن تحمل نفسك ما لا تطيق، وأن تتشاءم، وأن تصبح تعيساً يائساً، هذا هو الانهزام الداخلي، وهذا أخطر من الانهزام الخارجي.
أيها الإخوة الكرام، شكنا لي بعضهم أن مشكلة في بيته قد حصلت، وهي تحتاج إلى نفقة كبيرة، بعض الأنابيب قد سدت، ولا بد من إصلاح البيت كله، قلت له: اشكر الله عز وجل على أن أوعيتك الدموية سالكة، تلك أصعب.
كان سيدنا عمر رضي الله عنه، إذا أصابته مصيبة يقول: الحمد لله ثلاثاً:
" الحمد لله إذ لم تكن في ديني، والحمد لله إذ لم تكن أكبر منها، والحمد لله إذ ألهمت الصبر عليها "

٦) لا تذكر الماضي ولا تأسف عليه:

أستاذ جامعي دخل على طلابه في الجامعة، وسألهم: " من منكم نشر الخشب يوماً من الأيام ؟ "، فقال بعضهم: نحن، قالوا: كلنا مارسنا يوماً نشر الخشب، قال: " عندي لكم سؤال: من منكم يستطيع أن ينشر هذه النشارة ؟ "، كلهم سكتوا.
هذا هو الماضي، ما مضى فات، دعك منه، هذا الذي يندب حظه دائماً، يندب سوء اختياره لزوجته، يندب لماذا اختار الوظيفة، فأصبح دخله محدوداً، لماذا اختار هذا البيت، فكان جاره سيئاً، هذا الذي يتشكى دائماً لا يصلح لشيء، الماضي مضى:
ما مضى فات والمؤمل غيب ولك الساعة التي أنت فيها
ابدأ من هذه الساعة.

لا قلق مع الإيمان والاستقامة:

أيها الإخوة الكرام، هذه الحقائق النفسية التي يمكن أن تحل بالإيمان، قال تعالى:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ (*) نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ
 (*) نُزُلًا مِنْ غُفُورٍ رَحِيمٍ ﴿

(سورة فصلت، الآيات ٣٠، ٣١، ٣٢)

أيها الإخوة الكرام، أنت متى تبحث عن مخرج؟ حينما ترى الأبواب كلها مغلقة، تقول: أين المخرج، دقق في قوله تعالى:

﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴾

(سورة الطلاق: الآية ٢)

لم يكن هناك مخرج.

ضَاقَتْ فَلَمَّا اسْتَحْكَمَتْ حَلَقَاتِهَا فُرِجَتْ وَكُنْتُ أَظُنُّهَا لَا تُفْرَجُ

كن عن همومك معرضاً و كل الأمور إلى القضا
 أبشر بخير عاجلٍ تنسى به ما قد مضى
 فلب أمرٍ مسخِطٍ لك في عواقبه رضا
 ولربما اتسع المضيق و ربما ضاق الفضا
 الله يفعل ما يشاء فلا تكن معترضا
 الله عودنا الجميل فقس على ما قد مضى

وراء الأحداث حكمة عظيمة فلا تقلق:

أيها الإخوة الكرام، والله الذي لا إله إلا هو، هذا الذي يجري للعالم الإسلامي وراءه حكمة لا يعلمها إلا الله، وسوف تكشف الأيام في المستقبل عن هذه الحكم، أما الآن فهناك حرب عالمية ثالثة، معلنة على جميع المسلمين في شتى أقطاره، والحكمة مجهولة..
 لعلها دعوة إلى الصحة، لعلها دعوة إلى الوحدة، لعلها دعوة إلى العمل، لعلها دعوة إلى التضامن، لعلها دعوة إلى أن يحب بعضنا بعضاً.

المرض الثاني: تكثير الأعداء

أيها الإخوة الكرام، أسوأ صناعة في الحياة هي صناعة الأعداء، وهذه الصناعة لا تتطلب أكثر من الحمق، وسوء التدبير، وقلة المبالاة، لتحشد حولك جموعاً من الغاضبين والمناوئين والخصوم، لكن الله عز وجل يقول:

﴿ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾

(سورة فصلت: الآية ٣٤)

هذا سلوك المؤمن، لا يصنع الأعداء، بل يقلب الأعداء إلى أصدقاء بحكمته وحلمه.

دروس نتلقاها من أعدائنا:

قد تتعجبون أن أجعل لازمة لهذا الموضوع: (شكراً أيها الأعداء، أنتم علمتمونا كيف نستمتع إلى النقد، وإلى النقد الجارح دون ارتباك، وكيف نمضي في الطريق دون تردد، ولو سمعنا من القول ما لا يجمل وما لا يليق).

أيها الإخوة الكرام، النبي عليه الصلاة والسلام وصف بأنه مجنون، وبأنه ساحر، وبأنه كاهن، والسؤال: لماذا أثبت الله هذه التهم في القرآن الكريم، الذي يتلى إلى يوم الدين؟ ألم يكن من الممكن أن يتهم بهذه التهم الكبيرة، والقرآن يبطلها؟ لماذا أثبتها الله في القرآن الكريم الذي يتلى تعبدًا إلى يوم الدين؟ هذا من أجل كل إنسان مخلص، له من يعارضه، له من يشجب عمله، له من يفند سلوكه، له من يقلل من قيمته، له من يشكك في نواياه..

من أنت أمام سيد الخلق وحبیب الحق الذي اتهم بأنه ساحر، وبأنه كاهن، وبأنه مجنون؟ حتى إن الله عز وجل يقول له:

﴿ مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴾

(سورة القلم: الآية ٢)

﴿ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَأَتَانِي رَحْمَةٌ مِنْ عِندِهِ فَفَعَمَّيْتُ عَلَيْكُمْ أَنْلَزْتُكُمْ مَوَاطِنَ وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ ﴾

(سورة هود: الآية ٢٨)

لذلك شكراً أيها الأعداء، لقد علمتمونا كيف نستمتع إلى النقد، بل والنقد الجارح دون أن نرتبك، ودون أن يختل توازننا، وكيف أننا نمضي في طريقنا دون تردد، ولو سمعنا من القول ما لا يجمل، هذا درس عظيم لا يمكن أن نتلقاه نظرياً، مهما حاولنا حتى يقيض الله لنا من يعاملنا به، ومن يجرعنا مرارته، ليكون شيئاً معتاداً، هذا الذي ألف أن يمدح دينه دائماً، لو أنه سمع نقداً جارحاً لاختل توازنه، لكن الله يعلمنا أن معركة الحق والباطل معركة أزلية أبدية.

وطن نفسك على أن هناك من يرى أن هذا القرآن ليس كلام الله، وأن هذا الدين دين الإرهاب، ودين القتل، ودين الهمجية، ودين التخلف، وتعلم أنت علم اليقين أنه دين خالق السماوات والأرض، دين وحي السماء، دين الإنسانية، دين المحبة، دين التسامح، ووطن نفسك، هذه جرعات من أجل أن تملك مناعة ضد هذه الاتهامات، شكراً لكم أيها الأعداء مرة ثانية، فأنتم كنتم السبب في انضباط النفس، وعدم انسياقها مع مدح المادحين.

الإنسان أحياناً، لكي يكشف عن سلامة قلبه قد يدفع الآلاف، امتحان جهدي، أنت حينما يأتي هذا العدو، ويقسو عليك، وأنت مطمئن إلى إيمانك، مطمئن إلى عدالة السماء، مطمئن إلى رحمة الله، مطمئن إلى حكمة هذا التجريح، لقد كشف الله لك أنك مؤمن، وأنت لن تتأثر بكل هذه الأباطيل.

الإنسان يرتاح للمديح، فإذا سمع المديح طوال عمره اغترَّ بنفسه، وأعطاهها حجماً فوق حجمها، لكن هذا العدو حينما ينتقدك بقسوة، يقيم لك توازناً بين مدح المادحين وذم الدامنين، وعلامة المخلص لرب العالمين أن عمله لا يزداد بالمديح، ولا يقلّ بالذم، ولا يزداد في الظاهر، ولا يقلّ في الباطن، يريد الله أن يكشف لك إخلاصك، أنت إيمانك قوي جداً، فمهما أثّم الإسلام فأنت متمكن من هذا الدين العظيم.

أيها الإخوة الكرام، أخطر مرض يصيب الإنسان أن يغترّ بنفسه، العدو يمنعك أن تغترّ، فكلما سمعت مدح المادحين جاء هذا العدو لسمعك الذم والتجريح والنقد، فتتوازن، الشاعر يقول:

وإذا أراد الله نشر فضيلة طويت، أتاح لها لسان حسود

لولا اشتعال النار فيما جاورت ما كان يعرف طيب عَرَفِ العود

يأتي هذا العدو اللدود فيذكرك، فتتبري له الألسنة لتقرر الحقيقة وتمدحك، لولا هذا الافتراء لما نطقت الألسنة بمدحك:

وإذا أراد الله نشر فضيلة طويت، أتاح لها لسان حسود

لولا اشتعال النار فيما جاورت ما كان يعرف طيب عَرَفِ العود

إذاً، شكراً لكم أيها الأعداء، أنتم أيها الأعداء دون أن تعلموا، ودون أن تشاؤوا، ودون أن تريدوا، قررتم أن هذا النقد ينتج عنه اتزان، وعدل في الفكرة، الإنسان قد يعطي نفسه فوق قدرها، فيأتي هذا النقد فيحجمها، ويعطيها قدرها الحقيقي.

أيها الإخوة الكرام، والله الذي لا إله هو، هذه الشدائد التي تمر بالمسلمين حققت إنجازات في المدى القريب، العقل لا يصدقها، اقتربنا من بعضنا، بدأنا نزيل بعض الخلافات فيما بيننا، بدأنا نشعر أن وجودنا جميعاً في خطر، لابد من تعاوننا، هذه الأمراض المستشرية ما كنا لنشفى منها لولا هذه الهجمات الشرسة التي يقوم بها أعداؤنا.

أيها الإخوة الكرام، استطراداً، العالم قبل خمسين عاماً كان يوجد . إن صح التعبير . على ساحة القيم والمبادئ كتل ثلاث، كتلة الشرق، والغرب، والإسلام، الشرق تدعى من الداخل، بقي على الساحة العالم الغربي، قيم الحرية، والديمقراطية، والعدالة، وحقوق الإنسان، وتكافؤ الفرص، وحقوق المقاضاة، والعولمة، وبقي الإسلام بقيمه القرآنية ومبادئه، فما الذي حصل؟ الغرب قوي، وغني، وذكي، فخطف أبصار أهل الأرض، وصار الإنسان يطمح أن يذهب إليهم، وكأن البطاقة الخضراء بطاقة دخول الجنة، لكن ما الذي حدث؟ أنهم بعد الحادي عشر من أيلول سقطوا كحضارة، وبقوا كقوة غاشمة، وهذا أكبر نصر للإسلام، ألا ترون أن قضية الدين قفزت إلى بؤرة الاهتمام في العالم كله؟ ألا ترون أن هذا الدين على أنه يهاجم من جميع الأطراف يدخل الناس فيه أفواجاً، ما السبب؟ هذا الفعل الذي فعلوه دفع الناس إلى معرفة هذا الدين:

﴿ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

(سورة البقرة: الآية ٢١٦)

يجب أن نقول: شكراً لهذه الدولة الغنية التي هي قطب العالم، لقد أعانتنا على أن نكفر بها، والله عز وجل يقول :

﴿ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى ﴾

(سورة البقرة: الآية ٢٥٦)

أي: الطريق إلى الله لا يكون سالكاً، إلا إذا كفرنا بالطاغوت، لقد أعانونا على أن نكفر بهم. أيها الإخوة الكرام، نشكر أعداءنا مرة ثانية أنهم حملونا على أن ننشط في معرفة هذا الدين، وفي إزالة الشبهات، وفي دفع الشهوات، وفي التضامن، وفي التحابب، هذا كله من نتائج عدوانهم دون أن يشعروا، ودون أن يريدوا.

المرض الثالث: عقدة العمل الغائب

هناك وضع سيئ في واقعنا، هناك إحباط، هناك إخفاق، هناك ضعف، هناك شعور باليأس، هذه الأمراض المخفية ينتج عنها تأمل في غدٍ مشرق، دون أن نسعى له، نتخيله فقط، تخيلاً فقط، لذلك سماها بعض علماء النفس (عقدة العمل الغائب)، نتأمل أن نهض جميعاً، وأن نقاوم، وأن نقاتل، وأن.. وأن نعيد لأمتنا مجدها التليد، أن نعيد لها دورها القيادي في العالم، هذا ينتج عن الشعور بالإحباط. هذا المرض أصاب بعض الأمم السابقة، قال تعالى:

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَأِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّ لَهُمْ ابْعَثْ لَنَا مَلِكاً يُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلاً مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (*) وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكاً قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مَلَكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾

(سورة البقرة، الآية ٢٤٧، ٢٤٦)

إذاً، نتوقع مستقبلاً، فإذا جدُّ الجدُّ توانينا، هذه الحالة النفسية المرضية اسمها (عقدة العمل الغائب)، نتصور هذا النصر دون أن نسعى له، نتخيله دون أن نعمل من أجله، نطمح إليه دون أن نتكاتف لبلوغه، هذا مرض نفسي، نعيش في مستقبل غير صحيح، في مستقبل موهوم، ولا نفعل شيئاً في الحاضر، هذا مرض نفسي، أرجو الله عز وجل أن يعافينا منه.

أن نتخيل مستقبلاً مزهراً مشرقاً، موحداً، قوياً، ولا نعمل شيئاً من أجل هذا المستقبل، هذا مرض، وأن نكون كلما جاءت مناسبة كي نتقوى، وكي نتوحد، وكي نتعاون وكي نتضامن، نتفوق، ويلوذ كلُّ منا بانتماءاته الشخصية، ولا يرفعى للأمة حقها، هذا مرض آخر يعاني منه معظم المسلمين.

أيها الإخوة الكرام، هذا المرض أصاب بعض المؤمنين:

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ﴾

(سورة النساء: الآية ٧٧)

متحمسون، ولم يقبلوا بهذا الحكم:

لأن مجتمع مكة مجتمع غير متجانس، في البيت الواحد مؤمن ومشرك، فلو سمح الله بالجهاد وقتها، لكانت الحرب حرباً أهلية، فجاء التوجيه الإلهي:

﴿ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ ﴾

مهما كان الاستنزاف، أنا حينما أعمل شيئاً أتوهم أن الله يرضى عني به، ثم يسبب هذا الشيء بلاء للمسلمين لا ينتهي في خمسين عاماً، أنا ماذا فعلت؟

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴾

(سورة النساء: الآية ٧٧)

المسلمون محتاجون إلى مرجعية، إلى من يقرر أن هذا العمل مشروع، أو غير مشروع، أما كل إنسان يجتهد، ويفعل ما يريد، ويدفع معظم المسلمين الثمن باهظاً، تنزع منهم إمكاناتهم، كل هذا بسبب اجتهاد قد يكون غير صحيح، فهذا ما لا يرضى عنه الشرع.

المسلمون يجب أن يكونوا وحدة، سلمهم واحد، وحربهم واحدة، أما كل إنسان يعمل ما يريد، فهذا مرفوض.

أيها الإخوة الكرام، في آية أخرى:

﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأُولَى لَهُمْ ﴾

(سورة محمد: الآية ٢٠)

الأولى لهم، كما قال الله عز وجل:

﴿ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ ﴾

(سورة محمد: الآية ٢١)

عقدة العمل الغائب أن نتخيل مستقبلاً، ولا نسعى لتحقيقه، أن نخدر أنفسنا بمستقبل مزهر دون أن نعطي أسبابه، هذا مرض نفسي، والمرض الذي قبله، أن نحقد على أعدائنا، وهم سَخَرُوا لنا:
عداتي لهم حق عليّ ومنة فلا أعدم الله مني الأعدايا
 لهم دور إيجابي قد يغفل عنه كل الناس.

والشيء الأول كان: أن الإنسان يقلق، والقلق كالمح في الطعام، إذا زاد عن حده انقلب إلى ضده.
 أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم، فاستغفروه يغفر لكم، فيا فوز المستغفرين، أستغفر الله.

* * *

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله،
 صاحب الخلق العظيم، اللهم صلِّ وسلم، وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

تكذيب قصة الفتاة الممسوخة:

أيها الإخوة الكرام، أخ كريم قبل أسبوعين بالضبط، قدم لي قصاصة من جريدة يومية تصدر في دمشق، هي
 جريدة تشرين، فيها خبر، والحقيقة أنني سافرت في معظم المحافظات خلال الشهر السابق، السؤال الأول في
 كل لقاء، وفي كل درس، وفي كل محاضرة، وفي كل وقفة بين بعض الإخوة عن هذه الفتاة التي سَخَرَتْ من
 أمها حينما كانت تقرأ القرآن، فمسخت إلى حרבاء، وأنا أنفي هذا، أقول: غير معقول، لعلها كذبة، لعلها فرية،
 ثم جاء الخبر الشافي قبل أسبوعين..

أعداؤنا يشغلوننا بالتافهات:

المسلمون يلعب بهم أعداؤهم، يتفننون في إشغالهم بالتافهات، مع أنه هناك دعاة والله أحترمهم، وأجلهم،
 وأحبهم تورطوا، وتبنوا هذه القضية، أحد الناس أحضر لي صورة، وجاء إلى منزلي، وهو يتقد حماساً، يريد
 أن يعرف حقيقة الموضوع، قلت له: الله أعلم بحقيقة الموضوع، لكنني أعتقد أن هذه الصورة ملفقة بشكل ما.
 إن تلفيق هذه الصورة قضية سهلة جداً، بحسب التقدم الشديد في برامج الكمبيوتر، على كلِّ، البارحة جاءت
 رسالة إلكترونية عبر النادي الفلاني، تفضح سر هذه الصورة..

الفتاة الممسوخة هي تمثال متخيل لفنانة أسترالية تدعى (باتريشيا)، معروض في موقعها على الإنترنت،
 وهذا هو الرابط لمن يود أن يزور هذا الموقع، ويتأكد من صحة الموضوع، مكتوب اسم الرابط باللغة
 الإنكليزية، والطريف في الأمر أن هذه الفنانة المذكورة قد علمت بطريقة لا نعرفها بقصة انتحال منحوتها في
 ديارنا العامرة، فنشرت على الصفحة الرئيسية من موقعها صورة المنحوتة في المعرض، وإلى جانبها رسالة

إلى زوار الموقع بعنوان: خدعة الفتاة الملعونة، تقول فيها ما ترجمته: (ربما شاهد بعضكم هذه الصورة المأخوذة من مشهد المخلوقات عن طريق البريد الإلكتروني، أو مواقع الإنترنت، هذه الصورة مسروقة من موقع باتريشيا، وقد تم استخدامها دون إذن منها، وضد رغبتها، لقد نشرت هذه الصورة مع قصة أن مفادها أن المخلوق الباهر فيها كان امرأة حلت عليها اللعنة، إن هذه القصة غير صحيحة، وهي ملفقة، وتقوم على الغش والخداع).

لقد انزعجت باتريشيا كثيراً من هذه الخدعة، وهي تعلن أنه لا علاقة لها بالشخص الذي أطلقها، ولا تعرفه مطلقاً.

(باتريشيا) هي فنانة، وهذه الصورة ليست سوى صورة عمل فني، تمثال تم تنفيذه بمطاط السليكون، وموضوعه حول الهندسة الوراثية، والروابط الوراثية التي تربطنا بالحيوانات، وهي لا تتصل بأي شكل من الأشكال، بأي دين، أو بأية ممارسة دينية، والفنانة تشعر بالتعاطف الشديد مع كل من أزعجتهم هذه الخدعة، وهي تعبر عن أسفها، لأن عملها سرق، واستخدم بهذه الطريقة.

مساكين أولئك الذين يلجؤون لمثل هذا النوع من التزوير، فهم مثل من يسرق كي يتصدق.

الحق أكبر من أن تكذب من أجله:

إخواننا الكرام، كلمة أعلنها صريحة: الحق أكبر من أن تكذب من أجله، لا يحتاج الحق أن تكذب له، ولا أن تكذب عليه، ولا أن تزور، ولا أن تقلل من أعدائه، ولا أن تتبالغ به، الحق يعلن على الملأ، الحق يعلن تحت ضوء الشمس، لا يحتاج إلى كذب، ولا إلى تزوير، ولا إلى غش، ولا إلى خداع، ولا أن تقلل من خصومه، الله هو الحق، مادام الهدف نبيلاً استخدم إليه وسيلة صادقة، هذه الحقيقة الأولى.

الحقيقة الثانية: نحن دون أن نشعر إذا رأينا إنساناً متكالباً على الدنيا، نقول: إنه كلب، هل هو كلب حقيقة؟ هو إنسان يمشي على قدمين، إن رأينا إنساناً لا يحلل، ولا يحرم، نقول: هو خنزير، إن رأينا إنساناً يحتال على الناس، نقول: هو قرد..

لعل فهمي لآيات القرآن الكريم حينما مسخ الله بعض الأقسام إلى قرده وخنزير، فهمي هكذا.. أن الإنسان حينما يكون همه بطنه فهو قرد، وحينما يكون همه الجنس فهو خنزير، فالإنسان حينما يمسخ إلى قرد، وإلى خنزير، أي همه بطنه وفرجه، ولا يعبأ بأية قيمة أخلاقية.

افهم القرآن فهماً علمياً، أنت تتصور أن هؤلاء القوم أصبحوا قرده يعيشون في الغابات؟، ربّما.. ولكن فهمي الخاص أن لهم بيوتاً، ويرتدون ثياباً، لهم زوجات، ولكن أخلاقهم أخلاق القرده، وسلوكهم سلوك الخنازير، والله أعلم.

آلاف الأكاذيب تنتشر بيننا:

فيا أيها الإخوة الكرام، آلاف الصور يضحكون بها علينا:

تارةً، قلب فيه شكل الشرايين على شكل كلمة (الله).
تارةً، خلية نحل فيها اسم (الله).
تارةً، أثناء الزلزال يتشكل على الأمواج اسم (الله)، يعني هذا الذي دمركم هو الله تارةً، غابة فيها بعض الأغصان متشابكة على شكل (لا إله إلا الله).
كنت في أستراليا.. أعطوني صورة، هم مدهوشون بها، شجرة راحة، غصن بشكل أفقي، يضحكون علينا، يتسلون بنا، يستفزوننا أحياناً، قصص لا أصل لها.
الله عز وجل صنعته لا تحتاج إلى ماركة، اطمئنوا، صنعته أكبر، وأعظم، وأجلّ من أن تحتاج إلى دمغة (الله)، هذا كله كذب بكذب، لا تصدقوه.
مرةً، (بيل غيتس) أسلم، طلبوا الدنيا بهذا الكلام، هو لم يسلم، أنا بلغني هذا الخبر، واتصلت إلى أمريكا، والله خبر لا أصل له أبداً، ومساجد ومؤمنون يفرحون، يهنئ بعضهم بعضاً !!

لا تقبل أية فكرة إلا بدليل:

من أجل أن يتعمق إحباطنا، فكلما سمعت خبراً يظهر أنه كذب، كلما تعلقت بشيء يظهر أنه لا أصل له، وطمّنت نفسك على فهم علمي، لا تقبل خرافة، ولا تقبل حيلة، ولا تقبل فكرة، إلا بالدليل.
والله لا أبالغ، يقترب العدد من ألف سائل خلال الشهرين الماضيين، أعجب أينما سافرت، أينما حللت، أينما ألقيت محاضرة، السؤال الأول عن هذه الصورة، قلت: لا أصل لها من الصحة، جاء الخبر اليقين، إنسانة أسترالية شكلتها من السيلكون، مطاط السيلكون، ونقلت من موقعها على الإنترنت، ودوّت الدنيا بخبرها.
بل إن علماء أجلاء، دعاة. والله. لا أشك في إخلاصهم، تبوّأ هذه القصة، ونشروها على التلفاز، فإذا هي قصة باطلة.
أيها الإخوة الكرام، نحتاج إلى فكر علمي، نحتاج إلى الدليل، لولا الدليل لقال من شاء ما شاء.

الدعاء :

اللهم اهدنا فيمن هديت، وعافنا فيمن عافيت، وتولنا فيمن توليت، وبارك لنا فيما أعطيت، وقنا واصرف عنا شر ما قضيت، فإنك تقضي بالحق، ولا يقضى عليك، وإنه لا يذل من واليت، ولا يعز من عاديت، تباركت ربنا وتعاليت، ولك الحمد على ما قضيت، نستغفرك ونتوب إليك.
اللهم اهدنا لصالح الأعمال لا يهدي لصالحها إلا أنت، اللهم اهدنا لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت.
اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، وأصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا، وأصلح لنا آخرتنا التي إليها مردنا، واجعل الحياة زاداً لنا من كل خير، واجعل الموت راحة لنا من كل شر، مولانا رب العالمين.
اللهم اكفنا بحلالك عن حرامك، وبطاعتك عن معصيتك، وبفضلك عن سواك.

وصلِّ اللهم على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم.

والحمد لله رب العالمين